جامعة مولاي إسماعيل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس

مدخل إلى السميائيات التأويلية

ذ. عبد السلام إسماعيلي علوي

تقديم

يتحدّد الإنسانُ بِعَدِّه كائنًا ثقافياً مُنْتَسِبًا إلى عالم الرّمز باتساع مداه.[1] إنّ الثقافة، وفق هذا التّحديد، حوَّلت الإنسانَ من مجردِ كائنٍ بيولوجي يحيى ويفنى إلى كائنٍ رمزي يفكر ويعبر، كائن يستطيع انتزاعَ العالمِ الخارجي من مَادِيَّتِهِ الصلبة، لِيُودِعَهُ في "أشكال رمزية" بالغة التنوع والتباين. وَبهذا الاعتبار، امتلك الإنسانُ العوالم الخارجية المحيطة به ذهنياً، فاستغنى بالرموز والعلامات للتعبير عن الاشياء في غيابها وعن الوقائع والأحداث دون حضورها.

لَقَدْ استطاعَ الإنسانُ بواسطةِ العلامة ومِنْ خلالهَا أن يشيّد تاريخه الخاص، تاركاً وراءهُ كلَّ الكائنات بلا ذاكرة ولا تاريخ، رازحة تحت نير دورةٍ طبيعةٍ لا تني وَفق مسار دائريّ، يكرر نفسه باستمرار. إنَّ العلامةَ هيَّ الوسيلة التي من خلالها تأنسن الإنسان، وانتشل نفسه من ربقة الطبيعة، إلى رحابة الثقافةِ، هته التي منحتهُ أدواتٍ رمزية أودعَ فيها قيَّمهُ وآمالَهُ وأحلامَهُ.[2]

استناداً إلى ذلك، فإن الكونَ الإنساني ليس كذلك إلا في حدُودِ وجودِ "تجارة للعلامات". إنَّ هذه العلامات، مكنت الإنسانَ من إعادةِ صياغةِ الوجودِ خارج إكراهات الحضورِ الماديّ للأشياء، وهوَّنت عليه مَفْهَمَتَهُ وسَمْيَأَتَهُ، بل والأكثر من ذلك تحْجِيمَهُ وتسييجَهُ داخل تخوم ترميزية مخصوصة. حينها، وحينها فقط، تمكَّن من القبض على الجوهر القابل للتعميم بتعبير "سابير"، فامتلك الوجود ذهنياً، وغدا سيدا مطلقاً للكون.

في هذا المساق، جاءت السميائيات بتصور بالغِ الأصالة والعمقِ. تصور يهتم بسيرورة إنتاج المعاني وسبل اشتغالها وتداولها واستهلاكها. إنَّهُ تصور متكامل للعالم على حد تعبير "سعيد بنكَراد"، وهذا ما صرح به "بورس" نفسه قائلاً: " لم يكن بوسعي أن أدرس أي شيء سواء تعلق الأمر بالرياضيات أو الأخلاق أو الميتافيزيقا أو الجاذبية أو الديناميكية الحرارية أو علم البصريات أو الكيمياء أو علم تشريح المقارن أو علم الفلك، أو علم النفس أو علم الصواتة أو

---

[1] كريستوف فولف، التاريخ والثقافة والفلسفة، ترجمة أبي يعرب المرزوقي، الدار المتوسطية للنشر، ط1، 2009، ص150.

[2]- انظر أمبرتو إيكو، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط/2، 2010، ص9.

الاقتصاد أو تاريخ العلوم، وكذا الويست (ضرب من لعب الورق) والرجال والنساء والخمر والميثولوجيا، إلا من زاوية سميائية".[3]

ومن هنا، نلمس مدى المرونة والطواعية التي يتسم بها المنهج السميائي عند "بورس". وكذا قدرته على الامتداد على حقولٍ معرفيةٍ بالغة التنوع والتعدد والتباين. إِنَّهُ منهج يمتدُّ ويتسعُ ليشملَ مجالات شاسعة من العالم الإنساني. وهو بعد هذا وذاك، ممارسةٌ دائمةٌ وليسَ نظريةً متعالية منذورةً لجفاءِ التجريد، قِوَامُهُ في هذهِ الممارسةِ، المعرفة الفلسفيَّةُ المتحدّرة من المنطق والفينومينولوجيا.

هذه المحاضرات عبارة عن مدخل عام إلى السميائيات التأويلية، نتعرف من خلالها على معالم هذا الصرح النظري، من الخلفيات المعرفية إلى الأسس والمبادئ النظرية والمنهجية.

أ.د. عبد السلام إسماعيلي علوي و أ. عبد الرحيم الدادوي - جامعة مولاي إسماعيل - مكناس

[3] سعيد بنكّراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط:1، 2005، ص13.

من الفلسفة إلى السميائيات

لَقَدْ شكَّلت المقولاتُ الفلسفية الفينومينولوجيّة، الأساس المعرفي الذي قامت عليه تَصوراتُ "بورس" للعلامة. فَالعلامةُ، من هذا المنطلق، ليست سوى استعادة لرؤية إدراكيّة، تَرَى فِي الموجودات بشتى أنواعها وأصنافها، كياناتٍ منظمة مِن خلال مقولات كبرى. إنَّ هذه المقولات تُمَثلُ مقترحات إجرائيّة تَسمحُ لَنَا بفهم سبل انتقال العالم الخارجي مِنْ عالمٍ صافٍ وعينيّ إلى مَا يَشَكِّلُ عُمْقَ التشكيل الرمزي في الكونِ الإنساني. وبناءً عليه يُمكننا أن نتساءل:

- كيف ينتقل العالم الخارجي من حدوده الماديّة الملموسة ليستوطن أشكال رمزيّة هي حصيلة رغبة الإنسان في أن يسقط خارجه؟
- ما الحدود الفينومينولوجية التي أقام عليها "بورس" تصوره للعلامة؟
- كيف تشتغل هذه المقولات الفينومينولوجية داخل عالم مُمْتَدٍ على كل الآفاق والاحتمالات؟
- ما العلامة؟ وما العناصر التي تقوم عليها؟ ثم كيف تشتغل هذه العلامة داخل الوجود الإنساني؟

1- جِهاتُ الوجودِ ونظريَّةُ المقولاتِ

1-1- ماهيَّة المقولات وحدُودُهَا

لَيسَ الوجودُ الإنسانيُّ، كمَا حدَّدهُ بورس، إلا حصيلةَ سيرورةٍ إدرَاكِيَّةٍ، تَرى في الوجودِ كياناً محدّداً من خلالِ مقولاتٍ فانوروسكوبيّة ثلاث، تضبطُ حدودهُ، وتحدد تخومهُ وضفافهُ. وبعبارة أخرى، فإن"ما يجربه الإنسان وما ينتجه ينبغي أن يفهم باعتباره حصيلة تفاعل دقيق بين ثلاث مستويات خصوصية أي الأولية والثانوية والثالثية*"[4]. وبناءً عليه، فإن الكون الإنسانيّ الممتدّ، يتمُّ استيعابهُ عَبْرَ مصفاةٍ ثلاثية التركيب، تَعْمَلُ على تَشْذِيبهِ ثمَّ شَكْلَنَتِهِ

---

* لقد ترجمت هذه المقولات ترجمات متعددة ومختلفة، وسنعتمد لها هنا الترجمة التي قدمها سعيد بنكَراد: الأولانية(Priméité) والثانيانية(Sécondéité) والثالثانية(Tiercéité).

[4] حنون مبارك، دروس في السميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1/ 1987، ص 52.

ونَمْذَجَتِهِ لِنَقْلِهِ من عوالم الإمكان إلى حيّزِ التحققِ الفعليّ عبر قانونِ الفكرِ الذي يعمل على تأبيد الإحالةِ وضمانِ استمرارهَا وتداولهَا...

وَمِنْ هُنا، فإن موجودات العالمِ الخارجيّ تتسربُ إلى الذهنِ، لا باعتبارِ وجُودهَا الفيزيقي، بل بعدّها نتاجَ عملياتٍ ترميزيَّةٍ بالغة التعقيد والتركيب، " فالمعرفة في نهاية الأمر، هي بناء رمزي يقوم به الذهن، وليست امتلاكا فعليا لواقع ممتد إلى ما لا نهاية "[5]. إنَّ ما يتداولهُ الإنسانُ من معارف، يجَسدُ تَمَثلاتهِ عن الأشياءِ لا الأشياء ذاتها. وهذِه التمثلات، ليست سوى صيغٍ رمزيّة، تستوطنُ المخيال الإنسانيَّ، وتُمكنه من الاستعاضة بالفِكْرَةِ عن إحضار الشيء إلى "مرآة العينِ" على حد تعبير "ابن جني".

إنَّ عملياتَ امتلاكِ الإنسَانِ للوجودِ فكرياً، قد قادت بورس إلى وضع تصور يقودُ إلى فهم سبلِ تخلصِ الإنسانِ من معطياتِ الوجود العيني، واستبدالها بتقطيعاتٍ مفهوميّة من طبيعةٍ تجريديَّةٍ . فصياغتهُ لحُدودِ البروتُوكول الرياضي، تعكسُ رغبتهُ المَحمومةَ في الإمساكِ بإواليات الإدراكِ الإنسانيّ، وتأطيرها ضمن جهات مخصوصة: "وجود الإمكان النوعي الموضوعي، وجود الواقعة الفعلية، وجود القانون الذي سيحكم الوقائع استقبالا"[6]. إنّ سيرورة الإدراك هذه، تنطلق من الإمكان النوعي لتحيل على الواقعة الفعلية عبر القانون والفكر.

استناداً إِلَى ذَلِكَ، فإن تحقيق الإمكانِ المعرفيّ عند الإنسان داخل زمنٍ وفضاءٍ معينين، مرتبطٌ أيَّما ارتباط، بالتحديد الفينومينولوجي الثلاثي، فالواقعُ يمثلُ أمامنَا في مرحلةٍ أولى بصفته نوعيات وكيفيات محتملة التحقق. بعد ذلك، يتحيَّنُ في مرحلة ثانية داخل وقائع مخصوصة، بيد أن هذا الانتقال من الأول إلى الثاني لا يتمُّ إلا بموجب قانونٍ توسطيّ يمنح للواقعةِ حياتها، ويقيها من الاندثار والانتفاء.

وَبِصيغةٍ أُخرى، فإنَّ الواقعَ باعتباره كمّاً متصلاً ودفقاً مستمراً من الأشياءِ والوقائع، لا يمثلُ في الذهن من حيث ماديته أو من حيث جسده الملموس. بل إنَّهُ، أساساً، يَلِجُ العالم

---

[5] سعيد بنكّراد، التأويل بين "الكشف" و"التعدد" و"لانهائية الدلالات"، مجلة علامات، العدد 2005/25، ص 15 .

[6] سعيد بنكّراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط:1/ 2005، ص 46.

الذهني، من خلال شَكْلِهِ الرمزيّ. ولعلَّ هذا ما حدا "بإرنست كاسيرير" إلى اعتبارِ الإنسَانِ حيواناً رمزيّا، ذلك أنَّ " علاقتنا بهذا العالم (...) ليست علاقة مباشرة، ولا يمكن أن تكون مجرد رابط آلي يجمع ذاتا بموضوع. فما يفصل الإنسان عن عالمه ليس حواجز مادية تتشكل من الأشياء والموضوعات، بل هو الطريقة التي تتم بها صياغة الواقع صياغة ثقافية تنزع عنه أبعاده المادية لتكسوه بطبقة من الرموز..."[7].

لَقَدْ تفطن بورس إلى هذه الطبيعةِ الرمزيَّةِ التي تكسُو الكون الإنسانيَّ، وأدرك جيداً عمقَ تشعُّبها وغناها، فشرع يُؤَسِسُ لتصور سميائي بالغ الأصالة والعمق، زَادُهُ في هذا التأسيس، المعرفةُ الزاخرة التي خلفتها الفلسفة الفينومينولوجية، وكذا الفلسفة "الكانتية". لقد وجد ضالته في فلسفاتٍ تنهلُ أفكارهَا ورؤاها من مشاربَ فكريَّةٍ مُغرقَة في العمق والتعقيد.

وبناءً عليه، فالبروتوكول الرياضي أو ما أطلق عليه بورس نظرية "المقولات" في مرحلة متأخرة من مشواره العلمي، معيداً صياغة حدوده المصطلحيَّة: الأولانية والثانيانية والثالثانية، مَا هُوَّ إلا تكثيفٌ لمقولات فلسفيّة عمل بورس على تَحْجِيمِهَا داخل حدود إدراكية مخصوصة، يتكفل فيها كل حدٍّ بتحديد نمط وجوديٍّ بعينه. فالأولانية هيَّ مقولة الإمكان والاحتمال، أما الثانيانية فهيَّ مقولةُ الهنا والآن، في حين أن الثالثانية هي مقولة الضرورة والتدجين الفكري. إنَّهَا مقولة التوسط الإلزامي الذي يجعل الأولانية تحيل على الثانيانية وفق قانون سيحكم الوقائع استقبالاً. وتشكلُ مقولةُ الثالثانية أساس الإدراكِ الإنسانيّ، لأنها تعمل على بعث الحياة في العلامات وتضمن تداولها.

إلا أَنَّهُ، ينبغي أن نشير، إلى أنَّ هذه المقولات ليست كياناتٍ مُستقلةٍ بوجودها وأدوارها عن بعضها. إنَّهَا تشتغلُ باعتبارها كلاًّ أو وحدة غير قابلة للعزل أو التقطيع. وما التعاملُ معها باعتبارها وحدات منفصلة، إلا إجراء منهجي تقتضيه طبيعة التحليل العلمي. فمن المستحيل أن نفصل بين الإمكان المفترض (الأولانية) والتحقق الفعلي (الثانيانية) والقانون المنظم

[7] سعيد بنكَراد، مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط:1/ 2006، ص161.

(الثالثانية). إن التداخلُ بين هذِه المقولات "هو ما يحدد في نهاية المطاف، الاشتغال النهائي لميكانيزمات الإدراك الإنساني"[8].

وَقَصدَ تجلية الضبابيّة التي تشوبُ هذِهِ المقولات، وإجْلاءِ الغموض الذي يكتنفُها، سنحاولُ الوقوف عندها، لإبراز حدودها ومعالمها، واستيعاب نمط اشتغالهَا، عسى أن نؤسسَ أرضيّةً ابستمولوجيّة تخوّلُ لنا ارتيادَ الآفاق المعرفيّة التي نتغيَّا بلُوغَهَا.

2-1- مَقُولَةُ الأَولانيّة

يُمكن القول "إن الأولانية هي الوعي المباشر، وذلك الضرب من الوجود الإيجابي والخصوصي، أي الإمكان الكيفي الإيجابي الذي يعبر عن طبيعته الواحدية. وبقدر ما هي تعبر عن الكيفية فهي تمثل الإحساس(...) إنها نمط من " الوجود في ذاته "، لا يعيّن شيئا ولا يستتبعه أي شيء"[9]. فالأولانية تحيلُ على الإمكان والاحتمال، على الوجودُ البدئي المنفلت، الصافي والعاري من كلّ تحديد. أو بالأحرى إنها الدهشة أو تجربة التعرف الأولية.

إنَّ كلَّ الكيانات الوجوديَّة، سواءٌ كانت واقعيّة أو متخيّلة، قبل أن تتجسَّد في واقع مُدْرَكٍ، ما هيَّ إلا موجودات هلاميّة وعمياء. إنّها موجوداتٌ " نائمة "،" ساذجة "، و"متصلة " وسبيلها الوحيد لكي تظهر إلى الوجود، هو أن تتحيّز داخل وقائع فعلية، تَمْنَحُهَا، مبدئياً، تقطيعا أو شكلا أو صيغةً جزئيةً في الوجودِ المتحقق الفعلي.

إنَّ الأولانية تعني الوجود بالقوة كما رسم حدوده "أرسطو"، أي ذلك الوجودُ الذي تسبحُ فيه الموجوداتُ بلا شكلٍ ولا جسدٍ ولا هيئةٍ. فكلُّ الموجودات في هذا الصنف من الوجود، ليست إلا أحاسيس وكيفيات كامنة. والإحساس كما وضحه بورس "هو صنف من الوعي لا يستلزم أي تحليل أو مقارنة ولا أية سيرورة، كما أنَّهُ لا يتماثلُ كلًّا أو جزءاً مع فعل يميّز

---

[8] سعيد بنكَراد، السميائيات: النشأة والموضوع، عالم الفكر، العدد 3 المجلد 35، يناير. مارس، 2007، ص 32.

[9] أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقاربة سميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلا ف،المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم ط:1 /2005، ص135.

إحساساً عن آخر[10]. أما الكيفية فهي " وعي، لكنه ليس وعيا متيقظا، وإنما هو شيء ما من طبيعة الوعي. إنه وعي نائم "[11].

وَيُعَرِّفُ بورس الأولانية قائلا إنَّها: "قطاع وجوديّ يتحدّد في كون شيء، هو كما هو، إيجاباً دون التوجه لشيء آخر. وهذا الشيء ليس إلا احتمالا"[12]. وعليه، فكلُّ العناصر المنضويَّة تحت تضاعيفِ هذه المقولةِ، هيَّ معطياتٌ غير موصوفة، تتهادى بين احتمالين: إما أن تَتَحَيَّنَ في واقع مُدْرَكٍ، وبالتالي يصير اللاموصوف موصوفاً، وإما أن تظلَّ احتمالاً أبدياً في عوالمِ التحسّب، فتنفلت بذلك من سلطة الضبط والمراقبة، وتغرق داخل فيافي المخيال الإنساني الشاسع. فالإنسان " لن يموت جوعا في بلاد يجهل ما يقوله لسانُها، ولكنه لن يستطيع تكثيف انفعالاته الأكثر تجريدا والكشف عنها وتبليغها ..."[13]، ستضيعُ هذه الانفعالاتُ في عوالم الإمكانِ الأولاني، ولن يستطيع الإنسانُ التعبير عما يجوس في خاطره، ويعتمل في نفسه.

استناداً إلى ذلك، فالأولانية هيّ مقولةٌ تختص بطابعٍ عامٍ، إلا أن طابعها العام يتسم بسمات خاصة. إنَّهَا المُتَصلُ العَائِمُ في كونٍ سديميٍّ أعمى، أو اللاشكل الهارب من قيود التحديد والوصف " إنها مقولة توجد خارج أي تحديد، فلا زمان هناك ولا مكان ولا تخوم ولا أجزاء "[14]. إنها بتعبير "دافيد سيفان" "مقولة البداية والجدة والحرية والإمكان واللاتحديد"[15].

إنَّ كُلَّ الأحاسيس والنوعيات والكيفيات، التي تُغطِي الكون الإنسانيَّ، قبل أن تتجسّد في "الهنا" و"الآن"، ما هيَّ إلا كيانات جوفاء. وبمعنى آخر، وكما يقول "كانط" إنَّ الحدوسَ الحسيَّة بدون مفاهيم عقلية تبقى جوفاء، والمفاهيم العقلية بدون حدوس حسية تبقى عمياء. وعليه، فماذا يعني اللون الأسود خارج فعل الإبصار المُدْرِكِ له؟ وماذا يعني الحزن قبل أن يشعر الإنسان به؟ إن هذه ومثلها مجرد كيانات تحتمل التحقق، وهذا كل ما في الأمر.

---

[10] C S Peirce: Ecrit sur le signe ,éd Seuil ,1979 ,p 80 .

[11] أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقاربة سميائية في فلسفة العلامة، ص 136.

[12] C S Peirce : Ecrit sur le signe , p 70

[13] سعيد بنكّراد، اللغة بين الجوهر التجريدي وحسية الدارج.

www.saidbengrad.net/pdf/langue.final.pdf

[14] سعيد بنكّراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش.س.بورس، ص 56.

[15] المرجع نفسه، ص 56.

وَمِن ثمةَ، لن نُذِيعَ سراً إِذَا قُلنا، إِنَّ الوجودَ الأولاني، وجودٌ يتسم بالهشاشة والضعف. إِنَّهُ وجود معرض للانتفاء في كلِّ لحظة وحين، فمادام غارقاً في العماء اللاموصوف واللامحدود، فوجوده كعدمه، لذلك فإنه ينسلُّ من مضاجع "الوعي النائم"، مهرولاً نحو الواقعة الفعليّة (الثانيانية) ليغطي عريه، ويتجلى بمظهر يضمن له الاستمرار في الوجود ولو مؤقتاً. فما الثانيانية إذاً؟ وما حدودهَا وسماتُهَا؟ وكيف ينتقلُ الوجودُ من حالةِ النوعي المجرد إلى حالة التحقق الفعلي في وقائع الثانيانية؟

1-3- مَقُولَة الثانيانيّة

تحيلُ الأولانية على الإمكان المفترض. إِنَّهَا إِبحَارٌ في أكوان المجردات والهلاميات والسديميات. وبناءً عليه، فإنَّ الارتكاز عليها وحدها، لن يكون كافيا. لهذا فالذات المُدْرِكَةُ وفي غفلة منها تقوم "بنقل معطيات عالم لتصبها في "أجهزة " عالم آخر، أي نقل ما تدركه كأولانية إلى ما تحسه كثانيانية، فما كان مجرد أحاسيس ونوعيات مفصولة عن بعضها البعض يتحول إلى وقائع مجسدة: إن الثاني يوفر للأول غطاء، ويمنح الأول الثاني "مادة.""[16].

وَمِن هُنا، فالثانيانية هي مقولة "الوجود بالفعل". إنّها التحققُ الفعليُّ للأحاسيس والنوعيات في وقائع فعلية، فما كان في الأولانية مجردا لاموصوفاً ولاعينيا، يتحيَّز ويتحيَّن ويتجسد في الثانيانية، ليتخذ لنفسه موقعاً داخل الإدراك الإنساني. إِنّ الانتقال إلى الوجود الفعلي "معناه دخول الفضاء ودخول الزمان، ومعناه أيضا الانتقال من المتصل إلى اللامتصل. فمن الغموض واللبس والإبهام ننتقل إلى الوجود الفعلي، أي ننتقل إلى وجود تكون فيه الأحاسيس والنوعيات مجسدة في وقائع محددة(...) فالأشياء لا تدرك إلا متحيزة في المكان ومتعاقبة في الزمان"[17].

وَهَكَذَا، فإذا كانت نوعيات الأولانية وكيفياتها، كامنة في الداخل الجواني، فإن الثانيانية هي "الشيء الميت الخارجي(...) إنها قوة بدون قانون "[18]. إنَّ الثانيانية تحيل على "الهنا" و"الآن"

---

[16] سعيد بنكَراد، حوار مع الأستاذ محمد مفتاح بصدد بعض قضايا سميائيات بورس،
www.saidbengrad.com/ar/miftah/htm

[17] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص62 و63.

[18] أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقاربة سميائية في فلسفة العلامة، ص 136.

خارج إكراهات الإملاءات الثقافية والدينية والاجتماعية ... بمعنى أنها، تجسدُ الوجودَ الصافي والعاري من كل التهم. "إنها الطبيعة خارج إكراهات الثقافة، والتعيين خارج إكراهات الفهم والتجريد."[19] ويعرفها بورس بأنها "نمط وجود الشيء كما هو في علاقته بثان دونما اعتبار لثالث. إنها تعين وجود الواقعة الفردية"[20].

استناداً إلى ذلك، فالثانيانية تعمل على نقل الكيفيات والنوعيات، من حالتها المتصلة والمنفلتة لتضعها في خانات الوجودِ الواقعيّ. إنَّها تضطلع بنقل الإحساس المبهم من عالم الأولانية لتحيينه في وقائعٍ ملموسةٍ. وبناءً عليه، فهي مقولة "الحصر والتقييد والوصف والتحديد لاحقا، وكل المقولات الجزئية القابلة للاختبار والقياس والسبر، ولكنها حتى الآن لم تسبر..."[21] وبالتالي، فهي تشير إلى التحقق الفعلي للون الأسود في "الهنا" و"الآن" بمنأى عن إضفاء أي مضاف ثقافي إلى اللون الأسود، أو تشير إلى الحزن المعتصرِ في قلب أحدهم، في سياق محدد، دونما النبش في ذاكرة الحزن الثقافية.

وَإِذَا ظلّت الوقائع معزولة ومستقلة في هذا النمط من الوجود، دون الدخول في علاقة مع عنصر ثالث، فإنَّها مهددةٌ بالانتفاء والضياع. وبعبارة أُخرى، فَإِنَّ "الجوهر القابل للتعميم" سيتلاشى، ولن نحتفظ من الوقائع سوى بصور استيهامية غامضة وعرضيّة، ستزول بزوال الوقائع الفعلية. والسبيل الكفيل لضمان تواصل تفاعلي، ومنح العلاقة بين الأول والثاني أبعاداً فكرية، هو وجود الثالثانية. فما الثالثانية؟ وما حدودها وسبل اشتغالها؟

1-4- مَقُولَةُ الثالثانيّة

إن السيرورة الإدراكية عند بورس، فعلٌ مركب يتضمن ثلاث مستويات وجوديّة. أولانية (الإمكان النوعي الموضوعي) تحيل على ثانيانية (الواقائع الفعلية) عبر ثالثانية (القانون والفكر). فالوجود يمثل أمامنا في مرحلة أولى بوصفه نوعيات وكيفيات، ثم يمثل في مرحلة ثانية بصفته وقائع صافية، ليمثل أمامنا في مرحلة ثالثة باعتباره وقائعاً ثقافيةً مُسَنَّنةً ومُدَجَّنَةً. وهو

---

[19] سعيد بنكَراد، السميائيات: النشأة والموضوع، عالم الفكر، ص32.

[20] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص 61 .

[21] أمين يوسف عودة، فلسفة العلامة وتأويلها بين بورس وابن عربي، مجلة علامات، العدد 30/ 2008، ص 7.

ما يعني، بصيغة أخرى، أن الثالثانية تشتغلُ كقاعدة تحدد العلاقة بين الأول والثاني، وتخط المسار المؤدي إلى التخلص من معطيات العالم الخارجي إلى رحابة العوالم الرمزية.

استناداً إلى ذلك، فالثالثانية هيَّ مقولة "التوسط الإلزامي"، الذي يحول العالم المادي والطبيعي، إلى عالم ثقافي بقيم رمزية ودلالية. إنَّ الثالثانية تجسِّدُ رغبَةَ الإنسان الجامحة في فهم الكون وامتلاكه امتلاكا ذهنيا وثقافيا، رغبةٌ دفعته إلى أن يُسْكِنَ أحلامه وقيّمهُ ومآسيه في " أشكال رمزية " بالغة التعدد والتنوع، فاستحالت الكيانات المادية كيانات رمزية واستحال العالم الطبيعي عالما ثقافيا.

إن الثالثانية "هي أداة الإنسان في التخلص من التجربة الفردية وإسقاط السنن كتكثيف لمجموع التجارب الفردية. ذلك أن الإمساك بالأول والثاني لا يتم إلا من خلال الثالث. إننا نعيش الأحاسيس ونعيش الوجود من خلال هذه المقولة "[22]. وبتعبير آخر، إن الثالثانية هي المقولة التي مكنت الإنسانَ من استيعابِ الواقعِ كمفاهيمٍ يمتلكها ذهنياً، وتغنيه عن إحضار الشيء إلى "مرآة العين". فبواسطة هذه المقولة ومن خلالها، أخذ الإنسان يَسْتَنْفِرُ كتلاً دلاليةً مخبوءة، إما بقصد أو غير قصد، تحت طيات السلوك الإنساني، واستطاع أن يحفر برفش الثالثانية ذاكرة الدلالات المنسيّة، منقباً عن المتوارِي ومستنطقاً الممحو والمسكوت عنه.

وَعَلَى هذا الأساسِ، فمقولةُ الثالثانية، مكنت الإنسان من مَفْهَمَةِ الوُجُودِ وسَمْيَّأتِهِ، ثم تسييّجه داخل عوالم رمزية مخصوصة. لقد منحت المعرفةُ التي قدّمتها هذه المقولة للإنسان القدرة على تعريّة الواقع من أغطيته الطبيعية والمادية، لتقوم بتسنينه في صيَّغٍ رمزيَّةٍ متواضعٍ عليها. إنَّ الثالثانية تمثلُ "وسيطا جمعيا لتحويل الطبيعي إلى ثقافي ليندرج في صيغة سننية قابلة للتعميم والتجريد، أي القانون، وتغدو الواقعة أو ما كان يسمى سابقا انطباعا أوليا، علامة قابلة للحياة والاستمرار والتداول، وبصيغة شبه نهائية، فإن الثالثانية هي مقولة الفكر والمفهمة والتدجين والسيرورة التدليلية"[23].

وَعليه، فَإِنَّ الثالثانية تقودنَا بخطى حثيثة، نحو التخلُّص من كلِّ النسخ الماديَّة والاحتفاظ بنموذجٍ تجريديٍّ عامٍ، يختزنُ في ثناياه كل النسخ. ويشكل هذا النموذج التجريدي

---

[22] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص 68.

[23] أمين يوسف عودة، فلسفة العلامة وتأويلها بين بورس وابن عربي.

العام، الكوة التي يطلُّ من خلالها الإنسان على العالم الخارجي. وبمعنى آخر، فإن استيعاب العالم الواقعي كصور فكريّة، لا يتأتي إلا من خلال "خطاطات ثقافية " معقدة تحضر في الذهن، وتشكل "أسننا للتعرف" على العالم الخارجي بكل عناصره وتأليفاته. وهذا ما يعني، أن الإنسان لا ينظرُ إلى الواقع في حرفيته، بل إنَّهُ ينظر إليه وبالضرورة، انطلاقا من وسائط الذاكرة الثقافية، " فما يأتي إلى العين هو نظرة تنظر إلى الأشياء لا الأشياء ذاتها "[24]، والعين التي تنظر هنا، ليست عيناً مشدودةً إلى وظيفتها البيولوجيّة البسيطة. بل إنَّهَا، وربّما في المقام الأول، عينٌ بذاكرةٍ ثقافية، فهيَّ لا تنظر إلى الأشياء باعتبار وجودها الموضوعي، وإنما تنظر إلى الأشياء انطلاقا من منافذ الانفعال والتفاعل المؤَلَّدَة في النفس تحت طائلة فعل النظر.

وهكذا، فَإِنَّ حضور الثالثانية داخل السيرورة الإدراكية يعني القبض على الوجود الهارب. وَمن ثمة، فإن محاولة تحديد "الكينونة من خلال ما توفره الأولانية من معطيات تصب في قوالب الثانيانية، لن تقود إلا إلى العبث، أي إلى تصور كائن بشري بلا ذاكرة ولا ماض ولا مستقبل: إنه لحظي (حاضر) ولا تتحكم في أفعاله وما تنتجه من ردود سوى مثيرات لحظية مؤقتة وآنية. من هنا جاء تصور بورس للمقولة الثالثة لتقوم بتغطية الممكن فضلا عن الواقع. ولعل هذا سيكون مستحيلا من غير إعمال الفكر والقوانين. ولهذا كانت الثالثانية مقولة الضرورة التي تجعل تصور الأشياء والأفعال المستقبلية أمرا ممكنا"[25]. وبهذا سيتحول اللون الأسود والحزن والحرب مثلا إلى وحدات رمزية في مستودع ثقافي يقوم على دلالات مشتركة، يتم تحيينها في سياقات ثقافية بالغة التنوع والتعقيد.

ذ. عبد السلام إسماعيلي علوي ما بعد الطبيعة الخارجي - أطلنتة مولاي إسماعيل - مكناس

2- بنيّة العلامَةِ وحُدودها

تشكلُ نظريَّة المقولات الفينومينولوجية، الأساس الذي ستقوم عليه تصوراتُ بورس للعلامة، فالحدُودُ التي رسمها لها، لا تشكلُ، في حقيقةِ الأمر، سوى استعادة لمقولات تستوعبُ الوجود عبر مصفاة ثلاثية المستويات. وبعبارة أخرى، "لا يشكل التعريف الذي يقدمه بورس للعلامة سوى الوجه المرئي الإجرائي لرؤية فلسفية ترى في التجربة الإنسانية كلها كيانا منظما

---

[24] سعيد بنكّراد، الصورة وهم الاستنساخ واستيهامات النظرة، مجلة علامات، العدد32/ 2009، ص 31.

[25] سعيد بنكّراد، حوار مع الأستاذ محمد مفتاح بصدد بعض قضايا سميائيات بورس، ص5.

من خلال المقولات الثلاث التي تشير إلى سيرورة إدراكية غير مرئية، وهي مقولات تعد أصل ومنطلق إدراك الكون وإدراك الذات وإنتاج المعرفة وتداولها"[26].

إنَّ العلامة بدورها تشتغل باعتبارها سيرورة تدليليّة، تنطلقُ من أول لتحيل على ثان عبر ثالث، والسميوزيس كما حددها بورس هي "سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة"[27]. فلكي تصبح واقعة ما علامة، منتجة لدلالات معينة، ينبغي توفر ثلاثة عناصر أساسية: الماثول والموضوع والمؤول.

فالماثول يحيل على الموضوع عبر المؤول. وهو ما يعني، بصيغة أخرى، أن "السيرورة السميائية أو السميوزيس هي عملية انصهار الأبعاد الثلاثية للعلامة على أنها وحدة كاملة"[28].

وَعَلى هَذَا الأساس، فالعلامة عند بورس بناء ثلاثي الأبعاد. فإذا كانت العلامة عند "فرديناد دوسوسير" بناء ثنائيا من (دال ومدلول)، فإن عملية التدليل عند بورس، لا تستقيم إلا من خلال تضافر ثلاثة عناصر، تقود إلى إنتاج الدلالات وتداولها بعيداً عن إكراهات الحضور المادي للأشياء. فالكون الإنساني، بشتى مكوناته وجزئياته، يمرُّ عبر هذه السيرورة التدليلية. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنَّهُ " لا شيء يوجد خارج العلامات أو بدونها ولا شيء يمكن أن يدل اعتمادا على نفسه دون الاستناد إلى ما توفره العلامات كقوة للتمثيل، فالتجربة الإنسانية بكافة أبعادها ومظاهرها تشتغل في تصور بورس كمهد للعلامات: لولادتها ونموها وموتها"[29].

وَفِي نهاية المطافِ، إنّنا نعيشُ في كونٍ مثقلٍ بالعلامات، في كل الأماكن وكل الأوقات ومن كل الجهات، وفيها البسيط والمعقد، المباشر وغير المباشر، المساعد والمعطل.... وقديما قيل: "السير يدل على المسير والبعرة تدل على البعير...". فكل شيء في هذا العالم يوجد خارجه.

---

[26] سعيد بنكّراد، السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، الرباط، ط :1 / 2003، ص 59.

[27] أمبرتو إيكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، ط 2/ 2004، ص 138.

[28] أحمد يوسف، السميائيات الواصفة، المنطق السميائي وجبر العلامة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط 1/ 2005، ص58.

[29] سعيد بنكراد، السيمائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص72.

وهو ما يعني، أن العلامات قد غزت كل البقاع والأصقاع، ولم تترك أي شيء ينعم بالبراءة وصفاء الطبيعة. يقول "غوليالمو دا باسكارفيل" لتلميذه "أدسو دا مالك" في رواية "اسم الوردة" : "إنني منذ أن بدأنا الرحلة وأنا أعلمك أن تقرأ الدلالات التي يكلّمنا بها العالم وكأنه كتاب كبير. لقد كان "ألانو ديلّي إيزورلي" يقول: كل الكائنات، هي لنا كتاب ورسم، يتجلى في مرآة"[30]. فعلاً لقد "صرنا سجناء الكون العلامي بل صرنا من دون أن ندري علامة وسط علامات أخرى."[31]

وَمِنْ ثَمَّةَ، يمكن القولُ، إنَّهُ " لا وجود للأشياء خارج العلامات. لكن ليست هناك علامة أصلية إلا في إطار البعد الثلاثي لفعل المعنى، ليس باعتباره رغبة في القول بل باعتباره فعل الإشارة، وهو ما يسميه بورس بالسميوزيس"[32]. وقد قدم بورس تصوراً بالغ الأهمية، لإدراك نمط اشتغال هذه العلامة، فهي ماثول (ما يقوم بالتمثيل) يحيل على موضوع (الشيء الممثل) عبر مؤول (التوسط الإلزامي). ولكي يتحقق الإمكان المعرفي عند الإنسان في الزمان والمكان، ينبغي أن تتضافر هذه العناصر الثلاثة، فتضافرها هو السبيل الوحيد لإنتاج المعرفة واستهلاكها وهو السبيل أيضا لتخزينها وتذكرها،

وَقَبْلَ أن ننتقل، إلى الوقوف على عناصر العلامة، والإحاطة بنمط اشتغالها. ينبغي أن نشير إلى أن بنية العلامة الثلاثية مثلها مثل المقولات الفينومينولوجية، تشتغل باعتبارها كُلا أو حدة لا تتجزأ، وليس الفصل بين عناصرها إلا فصلاً إجرائياً يسوغه التحليل العلمي، نطمح من خلاله إلى تحقيق أكبر قدر من الدقة في الفهم والتمثل.

1- المَاثُولُ

كَمَا سَبق وأَشرنَا، فالسيرورة التدليلية تنطلق من أول لتحيل على ثان عبر توسط ثالث إلزامي، وهذا الثالث قابل لأن يسقط خارجه ليفتح السيرورة التدليلية على إمكانات دلالية، تنمو بشكل لولبي. وبعبارة أخرى، إن السيرورة التدليلية تنطلق من ماثول يحيل على موضوع عبر مؤول.

---

[30] أمبرتو إيكو، اسم الوردة، ترجمة أحمد الصمعي، دار أويا، طرابلس، ط: 2 / 1998، ص 41 و42.

[31] أمبرتو إيكو، السميائيات وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط: 1/ 2005، ص 13.

[32] جيرار دولودال، تنبيه لقراء بورس، ترجمة عبد العلي اليزمي، مجلة علامات، العدد 8 / 1997، ص 113.

استناداً إلى ذلك، فالماثول هو منطلق السيرورة التدليلة. إنه أداة التمثيل بالأساس، ودوره لا يقتصر إلا على التمثيل. فهو لا يعرفنا بالشيء ولا يساعد على تعميق هذه المعرفة.[33] إن الماثول هو "الأداة التي نستعملها للتمثيل لشيء آخر، أو هو شيء يحل محل شيء آخر"[34]. وبإيجاز، فالماثول ليس إلا "حمَّال أوجه" تتجاوزهُ، إن هذه الأوجه توجد خارجه. إنها توجد في الشيء الذي يقوم هو بتمثيله. فهو "حاجز عرضي ننتقل من خلاله إلى شيء آخر استنادا إلى قاعدة عامة "[35].

وَقَدْ حدّده بورس بقوله: "العلامة أو الماثول هو شيء يحل محل شيء آخر، بالنسبة لشخص ما بأي صفة وبأي طريقة. إنه يوّلد عنده علامة مواكبة أو علامة أكثر نمواً. إن هذه العلامة التي يولدها أسميها مؤولا للعلامة الأولى، وهذه العلامة تحل محل شيء هو موضوعها"[36]. وبهذا الاعتبار، فإن الماثول هو ما يطابق الحد الأولاني في نظرية المقولات، فهو لن يتحقق إطلاقا إلا من خلال تحيّن طاقاته التمثيلية داخل موضوع معين.

ويمكن أن نجمل أهم خصائصه فيما يلي:[37]

_ يحل محل شيء آخر.

_ أداة للتمثيل.

_ لا يوجد إلا من خلال تحيينه داخل موضوع ما.

_ لا يحيل على موضوعه إلا من خلال وجود مؤول يمنح الإحالة صحتها.

وهكذا، ثم إن الماثول يتحقق داخل عوالم التمثيل على اتساعها وتنوع أنساقها، إنه لا يقتصر على الوقائع اللسانية فحسب، كما هو الحال مع الدال السوسيري. بل إنّه، يغطي كل مجالات الوجود الإنساني وكل أنواع التمثيل الثقافي. وهذا يعني أنه يتحدد وفق موقعه داخل

---

[33] انظر المرجع نفسه، ص81.

[34] أمبرتو إيكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد ص 140.

[35] سعيد بنكراد، السميائيات: النشأة والموضوع، عالم الفكر، ص 36.

[36] Everert –Desmedt (Nicole): Le processus interprétatif :Introduction à la sémiotique de C.S. Peirce Ed Mardagua 1990 p 120

[37] سعيد بنكَراد، السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 65.

النسق المحدد لطبيعته، بحيث يُنظر إليه باعتبار النسق الذي ينتمي إليه، وفيه اللساني والخارج لساني[38].

وَإِذَا قُلنا، بأنّ الماثول ينتفي لحظة إحالته على موضوعه، فهذا يعني أننا نجعل الماثول رديفا موضوعيا للدال عند سوسير، بيد أن الأمر ليس كذلك، يمكن أن نستحضر الدال في سياق الحديث عن الماثول على سبيل المقارنة فقط، أما إذا تعلق الأمر بالحد فأكيد أن الماثول يباين الدال لاعتبارات متعددة، ومن ذلك أن إحالة الماثول على موضوعه "لا تلغي إمكان استمراره في الحياة ككيان مستقل باعتباره قابلا للتجزيء وفق مبدأ المقولات العامة نفسه: أولانية الماثول وثانيانية الماثول وثالثانية الماثول "[39]. بمعنى أنه يمكن أن ننظر إليه باعتباره علامة بعدما كان مجرد عنصر داخل علامة.

2- المَوضُوعُ

إنَّ الموضوع هو ما يضطلع الماثول بتمثيله ضمن سياق تواصلي مخصوص. فالموضوع هو موطن تحيّين الطاقات التمثيلية للماثول في "الهنا" و"الآن". إنه وبشكلٍ أوضح "ما يقوم الماثول بتمثيله، سواء كان هذا الشيء الممثل واقعيا أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو لا يمكن تخيله على الإطلاق."[40]

وَمِنْ هُنَا، فإحالة الماثول على الموضوع لا تتم هكذا، كيفما اتفق، بل تتم بموجب فكرة يطلق عليها بورس العماد أو الأساس. ومن ثمة، يمكن القول، إن "العماد هو الزاوية التي يتم من خلالها انتقاء موضوع العلامة، فالتمثيل الواحد لا يمكن أن يستوعب مجمل معطيات الموضوع من خلال إحالة واحدة "[41]. وبناءً عليه، فإن العماد " انتقاء خاص يتم وفق وجهة نظر معينة. (...) إن العماد على هذا الأساس، يحدد من جهة ما هو متحقق داخل العلامة وذلك

---

[38] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص 80 .

[39] المرجع نفسه، ص 80 .

[40] سعيد بنكَراد، السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 65.

[41] سعيد بنكَراد، السميائيات النشأة والموضوع، عالم الفكر، ص 35.

بطريقة مباشرة كانتقاء خاص يترك بالضرورة سلسلة أخرى من المعارف جانبا. ويحدد من جهة ثانية، بطريقة غير مباشرة هذه المرة، ما هو مفترض وقابل للتحقق ضمن سياق محدد..."[42].

فَإِذَا مَا مثل أحدهم بماثولٍ ما أو تلفظ بقول ما، فهو لا يحيل على ما يريد تمثيله أو قوله وفقط، بل إنَّه مع عملية التمثيل أو التلفظ هذه، تتسرب معطيات تتجاوز حدود التمثيل المباشر، عن قصد أو من غير قصد، ويظل القول يحتمل وجودها على كل حال. وبالتالي فهذه الأشياء الكامنة في القول تشكل قيما دلالية إضافية ومواكبة تتجاوز حدود التمثيل البسيط إلى مستوياته الكثيفة والمعقدة.

كلُّ هذا، يجرنا إلى الإقرار بأن الموضوع ينطوي على معرفتين مختلفتين، أولهما معرفة داخليّة، وهي معرفة تحيل بشكل مباشر على ما تختزنه العلامة، دونما استحضار للتجربة الإنسانية. إنها معرفة لا تتجاوز حدود المشترك الموضوعي في العلامة. وثانيهما، معرفة خارجيّة، وهي معرفة مفترضة، ومرتبطة أيّما ارتباط بما يسميه بورس بالتجربة الضمنيّة. وبعبارة أخرى، يمكن التمييز في الموضوع بين موضوعين: موضوع مباشر وهو ما يشكل المعطى المباشرة في العلامة وهو حاصل التمثيل البسيط، وموضوع ديناميكي يمثل كل المعطيات الضمنية الكامنة في العلامة والمواكبة للتمثيل. وإذا خذنا المتوالية الصوتية "البحر" مثلا، فإننا سنكون بإزاء موضوعين مختلفين، الأول معطى من خلال ما تقوله العلامة بشكل مباشر: البحر باعتباره امتدادا جغرافياً مقعراً، يغمره الماء المالح، ويضم في أغواره شتى أنواع الأسماك والكائنات. أما الثاني، فهو بحثٌ في الذاكرة الإنسانية عما يعنيه البحر: إِنَّهُ الجمال والحب والصفاء والعزلة، والموت والخوف الغواية...

وَفِي الأَخِير، يمكن أن نخلص إلى أن الموضوع باعتباره جزءاً لا يتجزأ من السيرورة التدليلية، يتسم بالغنى والاتساع، ولا يمكن لفعل التمثيل في حركيته نحو الموضوع أن يستوعب كل عناصر هذا الموضوع. وهو ما يعني أن هناك قصورا في عملية التمثيل، فالماثول في طريق إحالته على الموضوع يضيع الكثير من الأشياء. وما التمييز بين الموضوع المباشر والموضوع الديناميكي إلا دليلا صارخا على أن "الواقع يتجاوز العلامة، وأن العلامة من خلال

[42] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص84.

إمكاناتها الذاتية غير قادرة على إعطاء تمثيل كلي وتام للعالم الخارجي. فعملية التمثيل بحكم هذا القصور، لا يمكن أن تكون إلا جزئية. إنها تترك جانبا سلسلة من المظاهر لا تستقيم داخل هذا التمثيل، ذلك أن هذا التمثيل يتم داخل سياق خاص"[43].

3- المؤولُ

يشكلُ المؤولُ العنصر الثالث داخل السميوزيس، فلكي يصبح شيء ما علامة، لابدّ من توافر ثلاثة عناصر أساسية، هي الماثول والموضوع والمؤول. فالماثول يحيل على الموضوع عبر المؤول، وهو ما يعنى أن المؤول عنصر توسطي، يقوم بالربط بين الماثول والموضوع، فتغدو بذلك العلامة كيانا قابلا للتداول والاستهلاك.

استناداً إلى ذلك، فإن عملية التدليل لن تتأتى أبدا إلا بوجود المؤول، فهو "المصفاة التي يتم عبرها تسريب الصور المتنوعة التي تتزيى بها الموجودات "الواقعية منها والمتخيلة، أو القابلة للتخيل أو غير القابلة للتخيل"[44]. وبصيغة أخرى، فالمؤول يشتغل كقانون ينظم الإحالة بين الماثول وموضوعه. ومن ثم، فهو يقوم بإرساء الدعائم الأولية التي سيقوم عليها التدليل والاستدلال.

ينبغي أن نؤكد على أن المؤول هنا ليس هو الذات المؤولة او الشخص الذي يقوم بالتأويل. إنّه " لا يتطابق مع الشخص الشارح، ذلك أن المؤول لا يشترط وجود الشخص الشارح، إنه يشكل فقط "الوسيلة التي يستعملها الشخص المؤول من أجل إنجاز تأويله"[45]. إنَّ المؤول إذن ليس ذاتا، إنما هو بالتحديد السبيل المؤدي إلى التأويل، والوسيلة التي تتيح للسيرورة الانفتاح على الدلالات والمعاني.

وهكذا، فأن سيرورة الفعل التدليلي، هي سيرورة ثلاثية العناصر، لأن التدليل لا يمكن أن يستقيم من خلال حركية ثنائية، إن التدليل فعل ثلاثي يستدعي وجود ثلاثة عناصر مرتبطة فيما بينها، هي الماثول والموضوع والمؤول. ولعل هذا هو الشرط الأولي للحديث عن تجربة

---

[43] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص 86.

[44] سعيد بنكَراد، المؤول والعلامة والتأويل، بصدد بورس، مجلة علامات، العدد 9، 1998، ص 92.

[45] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، ص 89.

فكرية أو تجربة إدراكية[46]. إن الامتلاك الرمزي للكون، لا يتأتى إلا من خلال تضافر هذه العناصر الثلاثة بوصفها كلاّ أو وحدة لا تنفصم عراها.

وَإِذَا مَا افترضنا، أن عملية التدليل هي عملية ثنائية التكوين، فإننا سنكون بإزاء معارف جوفاء وصماء، معارف " تتميز بالهشاشة والغموض والتسيب، فهي "بلا ذاكرة " وغير قادرة على التحول إلى معرفة عامة"[47]. وبإيجاز، فإن حضور المؤول كعنصر ثالث داخل السميوزيس، معناه القبض على ذاكرة الوقائع، والغوص بها في عوالم التجريد والتعميم، لتغدو رصيدا ثقافيا ورمزيّا قابلا للاستحضار والتذكر، وطاقة فكرية قادرة على الاستمرار في الوجود.

وهكذا، فإن المؤول يشكل انفلاتاً من صرامة وضيق الوجود العيني، إِنَّهُ يقوم بتحرير الواقع من قيوده المادية، ليعيد بناءه رمزيّا، عن طريق حشوه في أشكالٍ رمزيةٍ، تمثل بدائل الثقافية. ذلك، لأَنَّهُ "لا يوجد سوى عالم واحد والإنسان جزء منه ولا يتميز عنه إلا بالتجريد..."[48]

إِلا أَنَّهُ، ينبغي أَن نُشير أيضا، إلى أَنَّ المؤول لا يمكن أن يستوعبَ كلَّ معطيات الموضوع في حركة واحدة، ذاك أن الكائن الإنساني متعددة الأبعاد، ولا يمكن، بأي حال من الأحوال، أن نضعه في خانة بعينها. وهو ما يعني انفتاح الإنسان على إمكانات تعبيرية ودلالية لا حصر لها، فالإنسان في كثير من الأحيان يبدي عكس ما يقول. وهو بالإضافة إلى ذلك، كائن منفتح على آفاق تأويلية رحبة. وعليه، فالذات المتكلمة تخلق، أنساقا لمعان جديدة تتجاوز عبرها المعطى المباشر. وليس هناك من فعل تأويلي قادر على احتواء كل معطيات الموضوع ضمن نظرة شاملة. فدخول المؤول كعنصر ثالث، داخل سيرورة السميوز، يسمح، من جهة، بإحالة الماثول على موضوعه، ولكنه، من جهة ثانية، يقوم ب"إبراز الهوة الدائمة الفاصلة بين الماثول وموضوعه"[49]. ولعل هذا ما حدا ببورس إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من المؤولات: المؤول المباشر، والمؤول الديناميكي، والمؤول النهائي.

---

[46] سعيد بنكَراد، المؤول والعلامة والتأويل، بصدد بورس، ص 98.

[47] المرجع نفسه، ص 97.

[48] جيرار دولودال، تنيبه لقراء بورس، ترجمة عبد العلي اليزمي، ص 112.

[49] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص 93 و94.

وَلكي تَتَضِحَ الرؤيةُ جليّاً، سَنُحَاولُ توضيح كل مؤول على حدة. وهذا لا يعني بتاتاً، أن هذه المؤولات تشتغل في استقلال عن بعضها، إنها جزء لا يتجزأ من السيرورة التدليلية، فهي تشتغل باعتبارها وحدة لا تتجزأ، والفصل بينها إجرائي أيضا، ولا تسوغه إلا الضرورة التحليلية.

3-1- المُؤولُ المُبَاشِر

يُشَكِّلُ المؤول المباشر عنصرا تقترحه العلامة في ظاهرها، إنه ما يوجد في العلامة بشكل تقريري، دونما البحث في ذاكرة العلامة. وبعبارة أخرى، إن المؤول المباشر لا يتجاوز حدود المشترك الموضوعي الثابت بظاهر العلامة، وقد حدده بورس باعتباره ما "يعين المستوى المعنوي الذي تقترحه العلامة نفسها، وهو ما نسميه عادة بمعنى العلامة (...) إنه يتحدد باعتباره مُمَثلا ومعبراً عن داخل العلامة"[50].

وَتَكْمُنُ وظيفة هذا المؤول، في إرساء نقطة الارتكاز التي ستستند عليها العلامة، من أجل الانطلاق إلى عوالم التأويل اللامتناهي. إنّ المؤول المباشر يشكل "اللحظة البدئية في سيرورة تأويلية هي نظريا، لا متناهية"[51]. فهو يقوم برسم الحدود وتحديد نقطة انطلاق الدلالة في بحثها عن ذاكرتها المنفلتة.

وَلنفترض أننا أمام الجملة التالية: "الزمن الموحش" فإن المؤول المباشر لن يتخطى حدود الإقرار، بأنه قد تم إسناد صفة "الموحش" إلى "الزمن"، إن هذا المؤول لن يسعف في البحث عما يضمره هذا الملفوظ أو يوجد خارجه، بل سيوقفنا فقط عند الطبقات الدلالية السطحية لهذا الملفوظ دون الغوص في تفاصيله المضمرة.

3-2-المُؤولُ الدِينَامِيكي

إنَّ السيرورةَ التدليليّة لا تكتفي بما هو موجودٌ داخل العلامة بشكلٍ تقريريّ. إنَّهَا قابلةٌ للامتداد إلى آفاق وعوالم دلاليّة بالغة التعقيد والكثافة. فرغبة الإنسان في الإدراك والمزيد من الإدراك ستحمله على تقفي آثار الضمني والخفي والكامن في العلامات، وستحثه من أجل ذلك على استحضار كل ما يسمح به عالمه الثقافي من سابق المعارف يسخرها من أجل جديد

[50] سعيد بنكَراد، السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 69.

[51] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس ، ص 95.

المعارف، "فمادام "الأول" يحيل على "الثاني" عبر "ثالث" هو نفسه قابل لأن يتحول إلى "أول" يحيل على "ثان" عبر "ثالث" جديد، فإن إمكانية اكتفاء العلامة بذاتها أمر مستحيل"[52]. إن العلامة تنمو بشكل لولبي، وعوض أن تدل على معنى واحد ونهائي، فإنها لا تني تستعرض كل المعاني الممكنة.

إنَّ العلامةَ ما إن تلقى للتداول، حتى ترتمي في تخوم دلالية بالغة الغنى والتعقيد. إنها تتجاوز حدودها الداخلية وسياقاتها الآنية لترتمي في السياقات العامة للكون الإنساني، بما فيه من الاجتماعي والديني والسياسي والاخلاقي والثقافي عامة. إن العلامة على مستوى المؤول الديناميكي تتجاوز المعطيات المباشرة المشتركة والثابتة، إلى ما يكمن وراءها من التعدد والاختلاف اللامتناهي.

وبهذا الاعتبار، فإنه لا يمكنُ تصور علامة مكتفية بذاتها، "فموضوع العلامة لا يمكن أن يكون إلا علامة أخرى. والسبب في ذلك أن العلامة لا يمكن أن تكون موضوعا لنفسها، إنها علامة لموضوعها من خلال بعض مظاهره"[53]. وهكذا، فإن العلامة تنمو وتتطور بشكل لولبي، ولا يمكن أن تتوقف، نظريا، عند حد بعينه. ولعل في هذا تفسيرا لسعي الإنسان المحموم وراء الحقيقة وتعقبه آثارها من علامة إلى علامة أخرى ومن حد إلى حد آخر، بدل الاستقرار على دلالة بعينها لا تغني إلا إلى حين.

كُلُّ هذا يجرنَا إلى الإقرارِ، بِأَنَّ لَذَّةَ التأويلِ أشدُّ إغراءً من يقينِ الحيّازة ويقين الفهم، و"الإغراء ليس فعلاً، بل وعداً بالفعل"، بتعبير "سعيد بنكَراد"، وما يُغوينا نحن ليس المعنى في المتحقق في ذاته، بل السعي وراءه وهو يتمنع ويتأبى منسلاً بنفسه إلى مكامن جديدة. وبهذا الاعتبار، فإن الذي يهم هنا ليس الوصل، وإنما هو السعي، وإن الذي يهم ليس هو المعنى في ذاته وإنما في هو التأويل أو السعي المؤدي إليه.

إن المؤول الديناميكي، يفتح باب التأويل على مصراعيه، ويسمح بالبحث في الذاكرة الثقافية، مستدعيا من الكامن والضمن في العلامة كتلاً دلاليةً رهيبةً. إنّه وبتعبير آخر، يسحب زر الأمان للعلامة كي تنفجر على مساحات دلالية شاسعة. فمادام "العالم الذي تشير إليه

---

[52] سعيد بنكَراد، المؤول والعلامة والتأويل، مجلة علامات، ص 92.

[53] سعيد بنكراد، مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، ص 179 و180.

العلامات يتكون ويتفسخ داخل تضاعيف السميوزيس"[54]، فإن منطق الإحالة قابل للاتساع حدَّ اللانهائي، واللانهائي بتعبير إيكو "هو الذي لا يملك حدودا، إنه ينزاح عن القاعدة"[55]. وبدل أن ننظر إلى هذه اللانهائية بوصفها هروبا من الاستقرار على دلالة بعينها، وإلغاء "لميتافيزيقا المرجع" ينبغي النظر إليها باعتبارها دليلا على غنى الفعل التأويلي. ومن ثمة، دليلاً صارخاً على أصالة المنهج السميائي عند "شارل سندريس بورس".

إلا أَنَّهُ، قد يعنُّ لأحدنا أن يتساءل: إذا كان المؤول المباشر هو ما ينم عن المعنى الثابت في العلامة، والمؤول الديناميكي هو ينم عن المعاني الكامنة والممكنة فيها. فما الفرق بين المؤول بنوعيه (مباشر وديناميكي) وبين الموضوع بنوعيه (مباشر وديناميكي)؟!

إن الفرق بينهما يكمن في أن معطيات الموضوع (مباشر وديناميكي) تقع خارج الذات المدركة. إنها "معطيات موجودة قبل تدخل الشخص المدرك، وهذه المعطيات قابلة للوصف بشكل مباشر كما هو الشأن مع الموضوع المباشر، وبشكل غير مباشر كما هو الشأن مع الموضوع الديناميكي. إن الموضوع على هذا الأساس ينظر إليه كسلسلة من المعطيات الموجودة خارج فعل التأويل وسابقة عليه "[56].

أَمَّا المؤول (مباشر وديناميكي) فإنه مرتبط بالقدرة على الإمساك بهذه المعطيات. إن المؤول بشقيه هو "زاوية النظر التي تجعل هذا القارئ يدرك هذه المعطيات في حين تغيب عن قارئ آخر. فنفس المعطيات الموجودة داخل نص ما قد تولد سلسلة من القراءات التي تتراوح بين القراءة السطحية والقراءة العميقة"[57]. وبإيجاز، يمكن الإقرار، بأن المؤول (بشقيه) هو القدرة الواصفة في حين أن الموضوع (بشقيه) هو المعطيات الموصوفة.

وعلى كلٍّ، فإن المعارفُ الناتجة عن تعالق المؤول (مباشر وديناميكي) بالموضوع (مباشر وديناميكي) يمكن حصرها في ثلاثة أبوب كبرى:

---

[54] Eliseo Veron : La sémiosis et son monde ,in Langages n 58 ,la rousse , 1980 , p 71.

[55] أمبرتو إيكو، التأويل بين السميائلت والتفكيكية، ص 28.

[56] سعيد بنكّراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص 99 و100.

[57] المرجع نفسه، ص 100.

- معارف استدلاليّة: وَهِيَّ المعرفةُ الناتجة عن تعالق الموضوع المباشر بالمؤول المباشر، إِنَّهَا مَعرفةٌ لا تتخطى حدودَ المشتركِ. وإذا عدنا للمثال السابق: "الزمن الموحش" فإننا نقف عند وحدة "الزمن" باعتبارها تتابعا للأحداث بشكل خطي كرونولوجي، وننظر إلى وحدة "الموحش" باعتبارها صفة أسندت إلى الزمن.

- معارف افتراضيّة: وهي المعرفة المولّدة من تعالق الموضوع المباشر بالمؤول الديناميكي، وقد تدل على حالة نفسية تم إسقاطها على الزمن، ليصير بذلك دليلا على حالة نفسية مستاءة مثلاً، أو حالات أخرى تشير إلى الإسقاطات الذاتية المفترضة التي قد يلصقها أحدهم بالزمن.

- معارف استقرائيّة: إِنَّهَا المعرفةُ النابعة من تعالق الموضوع الديناميكي بالمؤول الديناميكي، وهي معرفة يتم تحصيلها بموجب خلفيات معرفية كثيفة ومعقدة، قوامها كل المكتسب الثقافي والاجتماعي والسياسي والديني، وحتى الخرافي والأسطوري وغيره. وإذا عدنا إلى مثال "الزمن الموحش" فإن الزمن هنا قد يحيل على الموت والفناء، أو الغربة والضياع أوغيره.

3-3- المؤولُ النهائي

يُشَكلُ المؤول النهائي نقطة مهمة في حركية السميوزيس المتدفقة، فإذا كنا مع المؤول الديناميكي موعودين بارتياد آفاق تأويلية ممتدة وشاسعة، فإن المؤول النهائي يعمل على إيقاف السيرورة، ويحد من الامتداد الطحلبي والتوسع الفاحش الذي يحدثه المؤول الديناميكي. وذلك بغيّة تقليصِ الكمِّ الدلالي، وتَحْجِيمِهِ في سياقٍ تواصلي مخصوصٍ، ضمانا للتفاهم وتيسيرا للفهم.

إن " السميوزيس لا متناهية في المطلق، إلا أن غاياتنا المعرفية تقوم بتأطير وتنظيم وتكثيف هذه السلسلة غير المحددة من الإمكانات. فمع السيرورة السميوزيسية ينصب اهتمامنا على معرفة ما هو أساس داخل كون خطابي محدد"[58]. إن الحاجة الى الاستقرار والأمان تدفع الإنسان إلى البحث ثوابت يمكن الاطمئنان إليها، ولو إلى حين. إن حاجته تلك تدفعه إلى البحث عن سبل للتفاهم. ومادام التأويل في بعده الديناميكي لا يبعث إلى على الاختلاف والتدافع، فإنه

[58] أمبرتو إيكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ص 121.

ينبغي البحث عن حل لتدبير هذا الاختلاف والتدافع، ينبغي أن نتدخل لإيقاف سيرورة التأويل اللامتناهية. وأكيد أن هذا لا يتسنى إلى بعامل خارجي عن السيرورة ذاتها وعليه يقوم المؤول النهائي. ذلك "لأننا نؤول وفق غاية خارجسميوزيسية"[59]. أي إننا نؤول وفق غايات تواصلية من أجل فهم ما، وهذه غاية ذاتية نفعية.

إِلا أَنَّهُ ينبغي أن نشير، إلى أَنَّ المؤول النهائي، لا يعني النهائية المطلقة، أو توقف التام،" فما يقدمه المؤول النهائي في نهاية السيرورة ليس دلالة نهائية، بل نقطة نهائية داخل مسار تم انتقاؤه وفق فرضيات مسبقة خاصة بنمط وجود المعنى وطرق انتشاره في ثنايا الواقعة"[60]..

إن المعاني تتعدّد باختلاف السياقاتِ التأويليّة، فكل سياقٍ يفجّرُ قيماً دلاليّةً خاصة به، فما يؤول في هذا السياق بهذه الطريقة أو تلك، لا يؤول بنفس الطريقة في سياقٍ آخر. فلكل سياقٍ معانيه ودلالاته. فما يعتبر نهائيا عند أحدهم، قد لا يكون كذلك عند الجميع. وما يعتبر نهائيا الآن، قد لا يكون كذلك في كل حال. إن المؤول النهائي يتدخل في كل سياق بإيقاف السيرورة عند فهم بعينه، ف"السميوزيس في هروبها من علامة إلى علامة أخرى، ومن توسط إلى توسط آخر تتوقف في اللحظة التي تنحل فيها العادة داخل علامة ما. لحظتها تبدأ الحياة ويبدأ الفعل."[61] وبتعبير آخر، إن "العادة تجمد مؤقتا الإحالة اللامتناهية من علامة إلى علامة أخرى لكي يتسنى للمتكلمين الاتفاق على واقع سياق إبلاغي معين، إن العادة تشل السيرورة السميائية"[62]

وَفِي الأَخِير، بقي أن نشير، إلى أن فكرة "النهائيّة" داخل السيرورة التدليليّة ليست إلا دليلا واضحا على رغبة الإنسانِ المحمومة في القبضِ على المعنى المنفلت. وبشكلٍ أدق، إيقافُ القوّة المدمرة للتوالد الدلاليّ، قصد الاتفاقِ على فهم بعينهِ، تفْرِضُهُ رغبة الإنسانِ فِي الاستقرار والتعاون، ولو إلى حين. وأخيرا، إن فكرة النهائية في التدليل لا تنفي التعدد والاختلاف، بقدر ماهي دعوة صريحة لتدبير التعدد والاختلاف.

---

[59] المرجع نفسه، ص 131.

[60] سعيد بنكَراد، مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، ص 184.

[61] أمبرتو إيكو، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط 2 /2010، ص 272.

[62] سعيد بنكَراد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، ص 153.

مراجع ممكنة

- إسماعيلي علوي عبد السلام، السميولسانيات وفلسفة اللغة بحث في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017.
- إسماعيلي علوي عبد السلام، أسئلة المعنى من الماهية إلى الكيفية، فصل من كتاب جماعي بعنوان: قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 2015.
- إسماعيلي علوي عبد السلام، في سميائيات التأويل، الفكر العربي المعاصر، 148-149، 2009.
- إيكو أمبرتو، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الطبع 1، 2007.
- إيكو أمبرتو، السميائيّة وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2005.
- إيكو أمبيرطو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ترجمة بنگراد سعيد، المركز الثقافي العربي، 2000.
- أمبرتو إيكو، اسم الوردة، ترجمة أحمد الصمعي، دار أويا ، طرابلس، ط 2/ 1998.
- بارت رولان، النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الطبعة الأولى، 1985.
- بنكراد سعيد، الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، 2009.بنكَراد سعيد، الصورة وهم الاستنساخ واستيهامات النظرة، مجلة علامات، العدد 32،2009.
- بنكَراد سعيد، السميائيات: النشأة والموضوع، عالم الفكر، العدد 3 المجلد 35، يناير. مارس، 2007.
- بنكراد سعيد، سميائيات الصورة الإشهارية، إفريقيا الشرق، 2006.
- بنكَراد سعيد، مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى، 2006.
- بنكَراد سعيد، التأويل بين "الكشف" و"التعدد" و"لانهائية الدلالات"، مجلة علامات، العدد 25، 2006.
- بنكَراد سعيد، السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش. س. بورس، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2005.
- بنگراد سعيد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الأولى، 2003.
- بنگراد سعيد، السيميوزيس والقراءة والتأويل، مجلة علامات، العدد 10، 1998.

أ.د. عبد السلام إسماعيلي علوي - أ. عبد الرحيم الداودي - جامعة مولاي إسماعيل - مكناس

- بنكَراد سعيد، المؤول والعلامة والتأويل، بصدد بورس، مجلة علامات، العدد 9، 1998.
- تشاندلر دنيال، أسس السميائية، ترجمة طلال وهبه، مراجعة ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة بيروت،ط1 /2008.
- توماسيللو ميشيل، الثقافة والمعرفة البشرية، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد 328، يونيو 2006.
- حنون مبارك، دروس في السميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب ، الطبعة 1 / 1987.
- دوبري ريجيس، حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي، أفريقيا الشرق، ط 2006/1.
- دولودال جيرار، تنبيه لقراء بورس، ترجمة عبد العلي اليزمي، مجلة علامات، العدد 8، 1997.
- غوتيي غي، الصورة المكونات والتأويل، ترجمة سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، الطبعة الأولى، 2012.
- فولف كريستوف، التاريخ والثقافة والفلسفة، ترجمة أبي يعرب المرزوقي، الدار المتوسطية للنشر، الطبعة الأولى، 2009.
- سبيلا محمد وبنعبد العالي عبد السلام، الطبيعة والثقافة، سلسلة دفاتر فلسفية، العدد الثاني، منشورات دار توبقال، البيضاء، الطبعة الثالثة، 2005.
- سبيربر دان، التواصل والمعنى، ترجمة إسماعيلي علوي عبد السلام، مجلة علامات، العدد 49، 2018.
- شارودو باتريك ومنغنو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة المهيري عبد القادر وصمود حمادي، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2008.
- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، عالم المعرفة، 311، 2005.
- يوسف أحمد، الدلالات المفتوحة، مقاربة سميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 2005.
- يوسف أحمد، السميائيات الواصفة، المنطق السميائي وجبر العلامة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2005.

* * *

- Barthes Roland, L'aventure sémiologique, Seuil, Paris, 1985.
- Barthes Roland, Eléments de sémiologie, Seuil, Paris, 1964.
- Barthes Roland, Mythologie, Essai sur Le mythe, aujourd'hui, éd Seuil, Paris, 1957.
- Benveniste Emile, Problèmes de linguistique générale, Tom2, Gallimard, Paris, 1974.

أطروحة الدكتوراه إسماعيلي علوي و أحمد الدهوي جامعة مولاي إسماعيل مكناس

- Charaudeau Patrick, Langage et discours, éléments de sémiolinguistique, Hachette, Paris, 1983.
- Deledalle Gerard, Théorie et Pratique des signes, Introduction à La Sémiotique de Charles Sandres Peirce, éd Payot; Paris, 1979.
- Dubois Jean, & autres, Dictionnaire de Linguistique, éd Larousse, Paris, 1973.
- Eco Umberto, Sémiotique et philosophie du langage, Traduit par M.Bozaher, Presses universitaires de France, Paris, 2ème éd, 1993.
- Eco Umberto, Les limites de l'interprétation, Traduit par M.Bozaher, Bernard Grasset, Paris, 1992.
- Eco Umberto, Le signe, trad par Jean-Mariekenberg, éd Labor, 1988.
- Eco Umberto, La structure absente, Traduit par U.E-Torrigiani, éd Murcure de France, 1972.
- Everaert Desmedt Nicole, Le processus interprétatif, introduction à la sémiotique de Charles Sanders Peirce, Pierre Mardaga, Liège, 1990.
- Greimasse & Courtés, Sémiotique: Dictionnaire Raisonné de la théorie du Langage, éd Hachette, Paris, 1979.
- Jakobson Roman, Essais de Linguistique Générale, éd Minuit, Paris, 1963.
- Mounin Georges, Introduction à la sémiologie, éd Minuit, Paris, 1970.
- Peirce Charles Sanders, Ecrits sur le signe, Rassemblés, traduit et commentés par Deledalle Gerard, Seuil, Paris, 1978.
- Saussure Ferdinand de, Cours de linguistique générale, Préparée par Tullio de Mauro, éd Payot, Paris 1978.
- Veron Eliseo, La Sémiosis et son mode, in Langages, N°58, éd Larousse, Paris, 1980.

أ.د. عبد السلام إسماعيلي علوي و أ.عبد الوهاب الحاوجي - جامعة تلمسان الجزائر